المحاضرة العاشرة

شرح كتاب الإبانة الصُّغرى للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى

*السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله، نواصل بحول الله وقوته مُدارسة الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام ابن بطة العكبري رحمه الله ، كنا قد وصلنا إلى الكلام على النقطة التاسعة على مسلسل النسخة التي بين أيدينا صفحة ٩٤ تحت عنوان : **البعث والصراط**، وتكلمنا في عجالة على ما يتعلق بالعقيدة في وصف الصراط ومايكون عليه من مخدوشٍ مُسَلَّم، ومُكدوسٍ على وجهه في النار، وأحوال الناس يوم القيامة والبعث والنشور، المسألة هذه كان عنون لها الإمام ابن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى بقوله:

٢٦٤- ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ : سَلِّم سَلِّم.

٢٦٥- والصراط جاء في الحديث أنه : أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعرة. وقد مررنا مسرعين على المسألة وكنا في آخر الحلقة الماضية، وكنا نحتاج أن نفصل قليلاً في العقيدة في البعث، العقيدة في البعث بعد الموت، ونقول أن البعث بعد الموت من القضايا الكُبرى في العقائد الإسلامية عبر التاريخ من عهد آدم عليه السلام إلى أن ختم الله عز وجل رسالات السماء ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، وقضية البعث بعد الموت من قضايا الخصومات الكبرى بين الأنبياء وبين مشركة الأمم وكفار الأمم، وخاصةً مشركة الجزيرة العربية فقد كانوا يُنكرون بعثَ الأجساد مرةً أُخرى.

وطبعاً كان يوجد بعض الملل الباطلة، كالفراعين وغير الفراعين يعتقدون في القيامة، لكن هي عند أكثرهم قيامة روحية، يعني مثلاً عند النصارى وعند غير النصارى القيامة والبعث بعثٌ روحي لابعثٌ جسماني، وطبعاً هذا ضلال وكفر كما قال البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم عن سعد بن أبي وقاص **رضي الله تعالى عنه وأرضاه** قال: أما النصارى فكفروا بالجنة، قالوا ليس فيها طعامٌ ولاشراب بناءً على أن البعث عندهم بعث روحاني وليس بعث جسماني، يعني أن الأجساد إذا تحللت وبليت في القبور فليس لها بعثٌ ولانشور من قبورها، وطبعاً هذا كفر مستقل، فجاءت آيات القرآن الكريم مصرحة بإثبات البعث بعد الموت بأقوى طرق البرهنة والاستدلال والقياس العقلي الصحيح، وعندنا أربع نقاط أساسية سنتكلم من خلالهم في إثبات القياس العقلي الصحيح في آيات القرآن الكريم.

فنقول مبدئياً : أن أدلة الوحي المطهر وأدلة السنة النبوية الموحى بها إلى نبينا **صلى الله عليه وسلم** تسليماً، وكل الأدلة الأثرية السلفية إنما هي أدلةٌ عقليةٌ نقلية، لأجل أن نفض النزاع المفتعل هذا بين العقل والنقل، ولأجل أن نفض الادعاء المُفترى بأن أدلة الشرع إنما هي أدلة نقلية فقط، يعني ليست فيها براهين عقلية وليست فيها أقيسة صحيحة ونحو ذلك، وطبعاً هذا كلام باطل، القرآن مليء بالقياس العقلي الصحيح والذي هو قياس الأمثل وقياس الشبه وقياس التمثيل، أنواع الأقيسة وردت في القرآن الكريم وخصوصاً في مسائل الاعتقاد.

فمن الأقيسة الصحيحة العقلية التي وردت في القرآن على إثبات قضية البعث بعد الموت سنقول : القياس العقلي الصحيح على قضية الخلق الأول، وفي ذلك يقول الله **عز وجل** ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥﴾ ق: ١٥، فهنا الكفار عندهم شك عندهم ريبة ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ الرعد: ٥، ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾ الصافات: ١٦، إلى آخر الآيات التي نعت على الكفار معتقداتهم الباطلة في هذه القضية المفصلية المحورية، وأيضاً قول الله **عز وجل** في

بداية الخلق الأول فيما يتعلق في خلق الكون كله أو بخلق الإنسان على وجه الخصوص، ففي خلق الكون بأسره قال الله **عز وجل** ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ ﴿١٥﴾﴾ وقال الله **عز وجل** ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ غافر: ٥٧، وأما عن خلق الإنسان فقال الله **عز وجل** ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ القيامة: ٣٧ – ٤٠، وكان من ذكر النبي **صلى الله عليه وسلم** عند تلاوته لهذه الآية أن يقول : سبحانك فبلى ، وقال الله **عز وجل** في غير ما آية من كتاب الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ﴾ الحج: ٥، _ لنبين لكم قدرتنا على البعث الثاني بقدرتنا بالخلق الأول _ ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ وهذا واقع المشركين إبان نزول هذه الآيات ومازال هناك طوائف من ضلال بني آدم وكفار الأمم يُنكرون بعث الاجساد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الحج: ٥

وأما أدلة القياس العقلي الصحيح على قضية الإنبات يعني قياس البعث على إنبات الحب بعد جماده، يعني الحبة لايكون فيها أي معلم من معالم الحياة فتُدفن في الأرض ثم تُسقى بماء السماء فتنبت مرةً أخرى، قال الله **عز وجل** ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ الحج: ٥ – ٧، فالنبي محمد **صلى الله عليه وسلم** يأتي رجلٌ من أصحابه **رضي الله تعالى عنه وأرضاه** فيسأله : يارسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** له : أما مررت بوادِ قومك ممحلاً ثم مررت به خضراً ؟ قال : بلى، قال : كذلك يُحيي الله الموتى، أنت ألا تمر على الأرض ممحلة لايوجد فيها آثار نبات ولاحياة ، وادٍ صحراوي رمال، ثم ينزل الغيث من السماء

بإذن الله فتنبت الأرض من كل زوجٍ بهيج، أما مررت بوادِ قومك ممحلاً ثم مررت به خضراً ثم مررت به مُمحلاً ثم مررت به خضراً؟ قال : بلى، قال : كذلك يُحيي الله الموتى.

ومن أدلة القياس العقلية على قضية النوم والتوفية فيه قول الله **عز وجل** ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ الزمر: ٤٢، وقال الله **عز وجل** (﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ الأنعام: ٦٠ فهنا دائماً نجد أن ربنا **عز وجل** يصنع لنا رباطًا عقليًا بين قضية النوم واليقظة للدلالة على قضية الموت والبعث، وكان من خُطب قِسّ بن ساعدة الإيادي للعرب قبل بعثة النبي **صلى الله عليه وسلم** وخاصةً قريش في مكة بلد الله الحرام يقف في الموسم ولما يجمع الناس من الجزيرة العربية يقول لهم : لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، أقسَمَ قسٌّ قَسماً لا حانثَ فيهِ ولا آثماً لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وهذا من آثار كلام خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وأيضاً نرى أن النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** تسليماً وظف لنا جملة من الأذكار، ونحن أشرنا إلى هذا الكلام قبل الآن، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** علمك لما تنام تقول : باسمك ربي أموتُ وأحيا، لأن النوم هو الميتة الصُغرى، باسمك ربي أموت وأحيا، اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، وسائر الأذكار الموظفة في ذلك الموضع، وعند الاستقياظ: الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي ردَّ إلي روحي، وعافاني في جسدي ، وأذن لي في ذكره.

فطبعاً نقول إنه يوجد الأدلة الشرعية قرآناً وسنة تصنع نوعًا من أنواع الارتباط، ونوعًا من أنواع القياس العقلي الصحيح، كما أنك تنام رغماً عنك ، وكما أنك تستيقظ رغماً عنك، كما أُثر في كلام لقمان الحكيم كان يقول لابنه كلامًا لطيفًا جدًا فيقول له : يا بُني إذا كنت في شكٍ من الموت فلا تنم، وإن كنت في شكٍ البعث فلا تستقيظ، كما أن النوم يأتيك رغماً عنك ولاحيلة لك في دفعه وإن سعيت بكل سبيل فإنه آتيك لامحال، أخوه الكبير سيأتيك، وإن سعيت له بكل سبيل ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ

ٱلۡمَوۡتُ﴾ النساء: ٧٨، لو أخذت منشطات الدنيا ومنبهات العالم ستنام رغمًا عنك، ولو تعاطيت كل المنومات سيأتي وقت وستستقيظ رغمًا عنك، حتى لو أنت تناومت سيضطرك البول ويضطرك الجوع.

فهنا نقول أن أدلة القياس العقلي مبثوتة في كتاب الله وسنة النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** وأقوال من سبقنا من صالحي الأمم، كذلك من المسائل التي تكون فيها الرد المفحم جدًا على أدعياء الوجودية والدهرانية وعدم الإيمان بالبعث بعد الموت ونظرية نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر، أرحامٌ تدفع وأراضين تبلع، لا يوجد جنة ولا يوجد نار ولا يوجد حساب ولا عذاب ولا شيء، وحينما تكلمه يقول: أنا أريد دليلًا؛ لأني أثبت كل شيء بالدليل وبالتجربة، أقول له والله إذا كان عندك تجربة أنت كنت مستعدًا أنك تموت ، إذا كان لازال مؤمنًا بالموت أصلاً.

فهم عندهم إشكالية خطيرة جدًا عند طائفة من الملاحدة هذا نوع من الهوس العقلي أو من الخلل وعدم الاستقامة والاضطراب، هو غير مسلم لقضية الموت أساساً وليس البعث، فالموت بالنسبة له يقول غلطة ولن تنصلح، هو المرض هذا خلل في البنية الإنسانية وينصلح ومرض وينصلح، عمليات جراحية دواء إلى آخره، فالمشكلة عنده أنه يُأول الموت أنه غلطة لا تصليح لها، هذا هو الفكر الروسي قديمًا، ولا أعرف إن كانوا مازلوا على ذلك أم أنهم استقيظوا من هذه الغيبوبة، هذا كان مشهورًا عنهم، يقول الموت عبارة عن عطل ولم ينصلح فقط، إنما لو انصلح سيدور مرة أخرى، فالمسألة هكذا نجرب فيك فكن مستعدًا، فهنا الرد على شبهة ادعاء أن كل شيء يثبت بالتجربة، نقول: أنتم الآن تزعمون أنه يوجد تجارب أجريت في معمل... نحن عندنا القرآن يقول أنه يوجد تجارب و وقائع حياتية عملية قرآنية ثابتة بأعلى الأسانيد لامطعن في ثبوتها عبر التاريخ وليس هناك قوة أثبت وجودًا في العالم من هذه الأخبار، تجارب عملية للموت والبعث حصلت مراراً وتكراراً.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ البقرة: ٢٦٠، وهذا كان رأي عين، يعني تجربة عملية في عالم الحيوان في عالم الطير، موت مُحقق وليس أن واحدًا يخنقها أو يخدرها، بل يقطعها إلى أجزاء، ويخلط أجزاءها بعضها ببعض؛

حتى لايبقى الخليط من واحد، وليس أنك أتيت بحمامة، ووضعتها في الخلاط، أو أتيت بنسر مثلاً أو بطة أو فرخة قطعتها في طبق، بل خلط اللحم على بعضه وأخذ جملة من الخليط على رأس كل جبل، ونادى كل طائرٍ باسمه فرد الله **عز وجل** كل عضوٍ إلى نظيره حتى تجمعت الأعضاء أمام عينه، ثم دبت فيها الروح وجاءته سعياً لا طيراً، يعني خطوة خطوة لأجل أن يتأمل، لأنه إن كان طيراً فيمر مسرعًا، فيقول ما أخذت بالي، فهذا الذي يطير يأتي ماشيًا على الأرض، ويأتي لعندك خطوة بخطوة ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ وهذه تجربة لامطعن في ثبوتها إلا لمكابرٍ أو جاهل.

ثم التجربة الثانية ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ البقرة: ٢٥٩، وبعض المفسرين يقولون أنها كانت في عزير بعض أنبياء بني إسرائيل، وطبعاً أصحاب الكهف قصتهم مشهورة معروفة، أنامهم الله **عز وجل** أو أماتهم ثلاثمائة عامٍ وازدادوا تسعاً، وهذه كنموذج لأجل الأمة التي وجدوا فيها كانوا أيضًا ينكرون البعث الجسماني، بعد تحريف النصرانية وبعد دخول العقائد الباطلة فيها وكانوا على شريعة المسيح عيسى عليه السلام؛ فخرجوا إلى الكهف وربنا **عز وجل** أواهم إليه فأماتهم مائة عامٍ ثم بعثهم الله، ماذا تريدون أكثر من هذه التجارب؟! سبعة أنفار كل واحد ينقل خبرًا من جهة، وكل واحد من نسل شكل ومن جيل شكل وكلهم ماتوا وكلهم استيقظوا.

وحصل هذا النموذج في أكثر من ذلك، ليس في طائر ولا في شخص، ولا مرّ بقرية ولاسبعة أو ثمانية أنفار يُتردد في عددهم ، ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ البقرة: ٢٤٣، تقدير الآتية (موتوا) (فماتوا ثم أحياهم) فالله **عز وجل** لن يقول لهم موتوا ثم هم لم يموتوا، هذه ليست تجربة في اثنين ولا في عشرة ولافي مائة ولا في مائتين ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ خرجوا ألوفاً، فأماتهم الله وبُعثوا الواحد بعد الثاني.

وبنو إسرائيل لما خرجوا مع النبي موسى عليه السلام ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ النساء: ١٥٣، ماتوا جميعاً ثم بعثهم الله واحداً بعد الآخر ينظر بعضهم إلى بعض، ماذا تريد أكثر من ذلك؟! قل لي أي معمل في الدنيا أجرى تجربة أصدق من هذه ولا أوقع من هذه؟! وإذا حصلت فهل تثبتها بإسناد أقوى من هذا؟! أبداً، فإذاً هنا الأدلة الشرعية العقلية النقلية واضحة وضوح الشمس في هذه المسألة، فإذاً الإيمان بالبعث والنشور والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ ربي سَلِّم سَلِّم.

ثم يتكلم عن مسألة **الإيمان بالميزان**

٢٦٦- ثم الإيمانُ بالموازين كما قال الله تبارك وتعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الأنبياء: ٤٧،

٢٦٧- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه **: يُؤتى بالناس إلى الميزان** – يوم القيامة – **فيتجادلون عنده أشدَّ الجدال.** إسناده صحيح إلى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

٢٦٨- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **الميزان بيد الرحمن يُخفضهُ ويرفعُهُ،** هذا حديث صحيح وردَّ من طُرقٍ كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحاح، **فمن شكَّ في ذلك أو كذَّبَ به فقد أعظم الإلحاد.** _ الإلحاد هنا بمعنى الكفر، هنا الإلحاد الكفري وليس الإلحاد البدعي، نحن قلنا الإلحاد منه كفري ومنه بدعي _ . **وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعُباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجبٌ لازمٌ.** _ وطبعاً نحن في مسألة الإيمان بالميزان ننقل كلام أهل العلم السابقين رحمهم الله ، وأن هذه المسألة ليست لأهل السنة وحدهم، بل أهل الملة قاطبة مجمعون على إثبات الميزان في الجملة.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في عقيدته: الإيمان بالميزان كما جاء، يعني كما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانبحث عن كيف ولانبحثُ عن لِمَ، لأن القاعدة المطردة التي معنا في باب الإيمان بالغيب: نؤمن بكل ماصح به الخبر حقيقةً بلا كيف، لما يقول الإمام أحمد لنا: الإيمان بالميزان كما جاء يعني حقيقةً لامجازاً، بلاكيف من غير خوض في هذا العالم الغيبي، لأنه لاطاقة لأحدٍ بالخوض في هذا ولو خاض لما تحصل على شيء؛ لأن هذا خارج نطاق القدرة العقلية البشرية، الإيمانُ

بالميزان كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة وهذا حديث صحيح في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ولعله حديث أبي ذر : يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة، ثم قال : اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ الكهف: ١٠٥. وتوزن أعمال العباد، ستسأل كيف توزن صلاتي ؟ كيف يوزن صيامي؟ كيف يوزن بري بوالدي؟ كيف يوزن إحساني إلى الخلق؟ وكيف يوزن ذكري تسبيحي وطلبي إلى العلم ودعوتي إلى الله وصبري واحتسابي؟ بلا كيف، نؤمن بكل ماصح به الخبر حقيقةً بلا كيف وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته، لأن الذي يبحث عن الحق سيصل له من أقرب سبيل، وقد نصب الله عز وجل للحق الذي هو حقائق الإيمان الإسلامية والعقائد الإيمانية الدقيقة نصب الله عز وجل عليها أوضح الأدلة فمن رامها بلغها، ومن قصدها وصل إليها، من أقصر سبيل، الإشكالية أنه يوجد أناس كثيرون لا تُريد أصلاً، القصة في المناقشة إنه لا يُريد أن يثبت، أو أنه جاهل يريد أن يتعلم، أو أنه تائه يريد أن يصل لا، هو رافض ويجادل، فأرح عقلك، القصد من هذه المسألة أنك لاتلتفت لهذا النوع من الناس.

الإمام الزجاج رحمه الله يقول : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن الأعمال توزن يوم القيامة، يقول ربنا في القرآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ الزلزلة: ٧ – ٨، يعني الميزان حساس جداً يعمل بمثاقيل الذر، وكانت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها تتصدق بالقليل جداً حتى روي عنها أنها تصدقت بعنبة فقالوا لها عنبة!؟ قالت كم فيها من مثاقيل الذر، ستوزن في ميزان الذر كم ألف مثقال كثير جدًا، فالمؤمن يعمل مع هذه الحاجات، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة، فالإمام الزجاج يقول : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن الأعمال توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، هذا بالإجماع، الكلام الذي نقلناه من كلام الإمام أحمد والزجاج وأئمة أهل السنة أن الذي يوزن يوم القيامة هو العبد نفسه، وأيضاً يوزن العمل نفسه وعندنا في حديث البطاقة توزن الصحائف والكتب، ينادى برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيُقال له : احضر وزنك، فتُخرج له من أعماله تسعٌ وتسعون سجلاً كل سجلٍ منها مدَّ

البصر، كلها ذنوب وخطايا وكبائر وصغائر ومعاصي ٩٩ سجلًا ٩٩ ملفًا، صفحة واحدة منها مد البصر على منتهى الرؤية، كلها خطايا وذنوب ثم يُقال له هل لك عندنا حسنة؟ فيقول : لا، لا يارب ليس لي حسنات، فيُقال لاظلم اليوم، احضر وزنك، فتُخرج له بطاقة مكتوبٌ فيها لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، فيقول : أي ربي وماتفعل هذه البطاقة مع تلك السجلات؟ فيُقال إنه لاظلم اليوم فتوضع السجلات في كفة ولا إله إلا الله في كفة، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: فطاشت بهن لا إله إلا الله، ثم قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: إنه لايثقل مع اسم الله شيءٍ.

ولذلك كان من جملة وصايا أنبياء الله صلوات الله عليهم وعلى نبينا وسلم تسليماً وصية نبي الله نوح لولده : يابُني آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين ، أمُرك بلاإله إلا الله فلو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقةً مُبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله، ونبي الله موسى **عليه السلام** لما قال : يارب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال ياموسى قل لاإله إلا الله، قال : يارب كل عبادك يقولون ذلك، فقال الله **عز وجل** ياموسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولاإله إلا الله في كفة لمالت بهن لاإله إلا الله، هذه الخاصة بسيدنا موسى، فكل الناس تقول ولكن يتفاوت الناس فيما؟ في القلوب، فالكلمة الواحدة نفسها، بنفس عدد الحروف بنفس اللغة العربية لكن من سين غير صاد، ومن نبيٍ غير من تابع ومن رسول من أولي العزم غير نبي آخر وهكذا، فأكثروا من قول لا إله إلا الله، فإنها أعظم مايوزن في أعمال العبد يوم القيامة، فنؤمن بكل ماصح به الخبر حقيقةً بلا كيف.

ثم يتكلم الإمام رحمه الله عن **الحوض والشفاعة**، ننذكر لما تدارسنا سلم الوصول كان يقول :

وحَوضُ خيرِ الخلقِ حقٌّ وبِهِ *يَشرَبُ في الأُخرَى جميعُ حِزبِهِ* صلى الله عليه وسلم تسليماً

٢٦٩- ثم الإيمان بالحوض والشفاعة.

٢٧٠- وقال النبي صلى الله عليه وسلم **تسليماً : إن لي حوضاً مابين أيلة وعدن،** _أيلة؛ ماهي أيلة؟ بيت المقدس، القدس اسمها أيلة _ مابين أيلة وعدن، _وعدن معروفة، عدن اليمن _ فعرض حوض النبي **صلى الله عليه وسلم** من الشام إلى اليمن هذا عرض الحوض، زواياه كلها سواء كما

صح به الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، يقول : **إن لي حوضاً ما بين أيلة وعدن** - يُريد أن قدره ما بين أيلة وعدن - **أباريقه** وفي رواية كيزانه **بعدد نجوم السماء**. وهذه أحاديث صحيحة الأئمة رحمهم الله يقولون : الأحاديث التي وردت في الحوض بلغت حد التواتر، رواها بضعٌ وثلاثون صحابياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية استقصى طرق هذه الأحاديث كلها في موضع واحد، طبعاً في أحاديث النهاية التي هي علامات الساعة وما بعدها من العالم الآخر، استقصى الإمام ابن كثير رحمه الله طرق هذه الأسانيد والأحاديث في البداية والنهاية.

سُفيان بن سعيد الثوري رحمه الله يقول : أما المعتزلة فإنهم يُكذبون بكذا وكذا إلى أن قال: وبالحوض وبالشفاعة، ولايرون الصلاة خلف أحدٍ من أهل القبلة إلا من كان على هواهم، هذه طريقة التكفيريين حتى إن جذور التكفير موجودة عند المعتزلة أيضاً، مع اعتزال مساجد المسلمين وعدم الصلاة في مساجد المسلمين ووصفها بمساجد الضرار ومعابد الجاهلية إلى آخره، إنما هذا ميراثٌ اعتزالي دخيل، وله جذور خارجية أيضاً وليس من منهج أهل السنة والجماعة، الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله يقول في الطحاوية: والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض، حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ، أنه حوضٌ عظيم وموردٌ كريم يُمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشدُّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك وأحلى طعماً من العسل وهو في غاية الاتساع أي حوض النبي صلى الله عليه وسلم في غاية الاتساع، طوله وعرضه سواء، كل زاويةٍ من زواياه مسيرة شهرٍ.

هل الحوض مربع أم خُماسي أم سُداسي؟ هذه مشكلة أنك تترجم زواياه بالمعنى الرياضي الحديث، زوايا يعني مربع مثلث، لا فهو يقصد الأبعاد، لأنه حوض مستدير كما وردت الأحاديث، فلما يقول

زواياه، يعني في كل بعد في كل اتجاه، القطر يعني، من عند مركز الدائرة إلى نهايتها، هذا يقال في الكلام العربي زاوية يعني جهة، ليس الزاوية المسافة المحصورة بين ضلعين، يقصد الاتجاه.

٢٧١- قال أنس : من كذب بالحوض فقد كذب بالحق.

٢٧٢- وجاء في الحديث : من كذب بالحوض لم يشرب منه. وان كان في إسناده مقال.

نقول في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الإمام البخاري رحمه الله في الصحيح من حديث زيد بن الأرقم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوماً وهم في سفرةٍ : ما أنتم بجزءٍ من مائة ألف جزءٍ ممن يردوا علي الحوض من أمتي، قيل لزيد بن الأرقم : كم كنتم يومئذٍ؟ قال : ثمانمائة أو تسعمائة، يعني من ٨٠٠ ل ٩٠٠، حوالي ألف واحد، في مائة ألف، الألف في مائة ألف، بعشرة مليون، لكن طبعاً النبي محمد صلى الله عليه وسلم لايقصد أيضاً هذا الرقم بل يقصد التكثير جداً وهذه طريقة العرب أيضاً لأجل أن تتنبه، تقول لا بل العملية الرياضية أعطني رقمًا، لا ليس كذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقصد التكثير للغاية القصوى، ولذلك لما ربنا يقول ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ الصافات: ١٤٧، علماء التفسير يقولون بل يزيدون ليس أو ، فأو هنا ليست على بابها بل هنا، لأن العرب لا تعرف المليون والمليار والتريلون هذه أرقام عجمية، العرب لاتعرفها إنما تُكرر الآلاف تقول : ألف ألف ومائة ألف، ألف ألف ألف، إنما لايُكرر أكثر من ذلك، فلما تأتي وتترجم كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام السلف تترجمه على الكلام العربي وليس العجمي.

الإيمان بالحساب :

٢٧٣- ثم الإيمان بالمـُساءلة ؛ وأن الله عز وجل يسأل العباد عن كل قليلٍ وكثيرٍ في الموقف وعن كل ما اجترموا، ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ الأحزاب: ٨ فربنا سوف يسأل الصادقين عن صدقهم أم لا؟ نعم ، **وربنا قال** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ الحجر: ٩٢ – ٩٣، فهل يوجد أحد لن يُسأل؟ لا كل الناس سوف تُسأل، وهنا سؤال قد يرد على

هذه المعاني قول الله **عز وجل** ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩﴾ الرحمن: ٣٩ فما الجواب ؟ ربنا هنا يقول ﴿لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩﴾ وهنا يقول ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ هو سيأسلهم أم أنه لن يسألهم؟ هنا يوجد إجابتان؛ الإجابة الأولى : القيامة مواقف، هذا جواب ابن عباس يغلق الباب، أي أخبار فيها إشكال في أخبار تعارض يوم القيامة الجواب من ابن عباس مفتاح واحد : القيامة مواقف، يعني هذه الآية تتكلم عن موقف معين والآية الثانية تتكلم عن موقف ثانٍ مختلف تمامًا، فهذا ليس تعارضًا بين الأقوال، لاختلاف المواقف يوم القيامة، وانتهى الموضوع، لكن هنا بعض أهل العلم من المفسرين يدقق الدائرة قليلاً ويقول : لما يقول ربنا ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ أن هذا هو الأصل، السؤال سيكون : هل فعلت؟ أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ هذا السؤال للكل، إنما ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩﴾ لِمَ فعلت؟ لماذا؟ لأن هذا سؤال لاجواب له، فلما ربنا يقول لك لماذا فعلت هذا؟ ماذا ستقول له؟ لايوجد جواب، فالسؤال كعدمه، فمعنى كده ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ۝٣٩﴾ من أصحاب الذنوب يعني، لايُسأل صاحب الذنب الذي لم يغفره الله **عز وجل** لِمَّا فعلت لأنه لاجواب له فأنت ستُعذب وانتهى، عياذاً بالله.

فهنا يقول : ويأخذ للمظلومين من الظالمين، أي يأخذ الله **عز وجل** بعدله وقسطه للمظلومين حقوقهم من الظالمين، وهذا هو من الأدلة العقلية إن صح التسمية بهذا المعنى على إثبات البعث بعد الموت، نحن نؤمن أن الله **عز وجل** الذي خلق هذا الكون خلقه على قانون العدل، فليس من العدل أن حقوق بعض الناس ومظالم بعض الناس لايأخذونها في الدنيا، عاشوا بألمهم وماتوا بحسرتهم، أين تذهب حقوقهم؟ لابُدَّ من دارٍ أخرى، ولابُدَّ من عالمٍ آخر يقتص الناس فيه الحقوق، فهذا من جملة الأدلة التي يُستدل بها على وجوب البعث، وإنه لازم يسحصل، وليس إنه جائز أن يحصل لأنه حاصل لا محالة.

ويؤخذ للمظلومين من الظالمين، حتى يقتص للشاة الجماءِ من الشاة القرناءِ، وللضعيف من القوي. حتى يقتص للشاة للجماءِ ــ التي لاقرن لها ــ من الشاة

القرناءِ ــ التي لها قرن ــ، وللضعيف من القوي، يعني يؤخذ للضعيف من القوي، قال الإمام ابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل يُحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مشافهة منه إليهم، ومن قول أهل السنة يعني الذي أجمعوا عليه في العقائد أن الله عز وجل يُحاسب عباده يوم القيامة، ويسألهم مشافهة منه إليهم، طبعاً مشافهة هنا ليس معناها إثبات الشفاه للاثنين، لا هنا المفاعلة ليست على بابها إنما الله عز وجل يسألهم وهم يُجيبون بشفاههم من غير وساطة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث : نحن آخر الأمم وأول من يُحاسب، نحن آخر الأمم في الترتيب التاريخي في السلسلة البشرية، أول الأمم: أمة آدم عليه السلام ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم آخر أمة هي أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، لانبي بعده فلا أمة بعد أمته، الأمة الخاتمة، نحن آخر الأمم وأول من يُحاسب يوم القيامة، ويُقال : أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الأولون الآخرون، هذا الحديث رواه ابن ماجه في السنن وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم، من حديث عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه وأرضاه: مامنكم من أحدٍ إلا وسيُكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ليس بينه وبينه حجاب ولاترجمان يترجم له، فهنا نقول أن الحساب هذا حقٌ لامرية فيه كائنٌ لامحالة لكن الحساب حسابان : الحساب اليسير، وسوء الحساب كما ذكره ربنا في القرآن، ربنا توعد الكفار بأن لهم سوء الحساب وذكر أن من عباده من يُحاسب حساباً يسيراً، فأما عن سوء الحساب فقد سأل رجل الحسن البصري رحمه الله عن تفسير هذا المعنى : ما سوء الحساب؟ فقال : سوءُ الحساب أن يؤاخذ العبد بخطاياه ولايُغفر له منها ذنب، وهذا لايكون إلا في الكافر، وهذا مروي عن إبراهيم النخعي رحمه الله ، إذاً هذا سوء الحساب عياذاً بالله، وهذا يبدأ بالمنافشة، سوء الحساب يبدأ من أول المناقشة إلى الخلود في النار، السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول : من حُسب عُذب، فقالت : يارسول الله فأين قول الله عز وجل ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ الانشقاق: ٨، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك العرض يا عائشة ذاك العرض، ذاك : اسم إشارة للبعيد مذكر تلك، كما قال الشيخ الحكمي في المنظومة

والعَرْضُ تَيْسِيرُ الحسابِ في النَّبَا *ومَنْ يُناقَشِ الحِسابَ عُذِّبا*

*والعَرْضُ تَيْسِيرُ الحسابِ، فتيسير الحساب معناه عرض السيئات فقط، يُعرض عليه الذنب، أتذكر ذنب كذا؟ نعم ، أتذكر ذنب كذا؟ نعم، أتذكر ذنب كذا؟ نعم، تُعرض عليه أعماله صغائرها قبل كبائرها، يُقرَّر أتذكر ذنب كذا؟ فهذا هو السؤال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ من جملة هذا السؤال : أتذكر ذنب كذا، أتذكر ذنب كذا، يُقرر بذنوبه، حتى إذا ظنَّ أنه هلك فيقول الله **عز وجل** له : قد سترتها عليك في الدنيا واليوم أغفرها لك، فالسيدة عائشة **رضي الله تعالى عنها** لما قالت للنبي **صلى الله عليه وسلم**: يا رسول فأين إذاً لما ربنا يقول : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ قال لها : لا هذا العرض، الحساب اليسير إنما تُعرض عليه سيئاته بلا مؤاخذة، من نُقش الحساب عُذب، نسأل الله **عز وجل** أن يُحاسبنا حساباً يسيراً وأن يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كلها.

نعيم الجنة وعذاب النار

وطبعاً نحن نذكر أبيات المنظومة لما قال :*والنارُ والجنةُ حقٌّ وهُما* *موجودتانِ لا فَناءَ لَهُما*

٢٧٤- قال : ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق ــ يعني الجنة ليست ستُنشيء، ولا النار سُتحفر، بل هذا انتهى، فُرغ منهما قبل أن يخلق الله عز وجل الخلق، فهنا من قواعد الإيمان : أن تؤمن بأن النار والجنة قد فُرغ منهما قبل أن يخلق الله آدم وذريته، وفي الحديث أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال : لما خلق الله الجنة أمر جبريل فقال له : اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم عاد فقال : وعزتك مآأظن أن أحداً لا يدخلها، كل الناس سيدخلونها، من جمالها، فأمر الله **عز وجل** بها فحُفت بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، يعني بعد ما حُفّت

بالمكاره، فذهب ونظر إليها ثم قال : وعزتك يارب ماأظن أن أحداً يدخلها، من صعوبة الطريق إلى الجنة، الطريق إلى الجنة طريق صعب، طريق طويل، وهذه المشكلة.

المشكلة ليست صعوبة العبادة، ليست صعوبة الاستقامة بل صعوبة الاستمرار، وإلا آفة الوقت الآن آفة الملالة من الطريق، وأنا آتٍ في الطريق الآن قلت للأخ : والله أنا قلق جدًا على الإخوة ورواد المساجد وطلبة العلم وحملة القرآن وصاحبات الحجاب والعفة وأصحاب النزاهة والشرف والكرم، الناس ملوا، والطريق طويل، وماذا بعد؟! فيوجد ناس أصابهم الملل فانصرفوا إلى دنياهم، نذهب للبحث عن لقمة العيش وعيالنا ، فإلى متى سنظل هكذا ؟! إذا نختم بحياتنا ويترك الطريق عياذاً بالله.

لأجل هذا لما تؤمن أن النار فُرغ منها وأن الجنة فُرغ منها وأن النار حُفت بالشهوات وأن الجنة حُفت بالمكاره، فتعرف أنك تدرس العقيدة لأجل أن تُعطي نفسك وقودًا للطريق لتستمر، وليس مجرد مسائل نحررها ونرد على المخالفين والشبه ونناظر الإنس والجن، ليس هذا المقصود، العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، أنت تدرس معاني الإيمان ومعاني العقائد لأجل أن تبقى باعثك على الثبات الداخلي من نفسك غير منتظر أن أحد يقول لك، غير منتظر أحدًا يدفعك.

والنار والجنة حقٌ وهما موجودتان لافناء لهما، فلما خلق الله النار أمر جبريل أن يذهب فينظر إليها فذهب فنظر إليها وقال : وعزتك يارب ماأظن أن أحداً من خلقك ينجو منها، ماأظن أن أحداً من الخلق سينجو منها، كل الناس سيذهبون إلى الجحيم، مما رآه، فأمر الله **عز وجل** بها فحُفت بالشهوات، النار جهنم زخرفها ربنا وزينها بالشهوات فقال : ياجبريل اذهب فانظر إليها فلما رآها جبريل على الوضع الجديد قال : وعزتك يارب ماأظن أن أحداً ينجو منها، هكذا كل سيدٍخل من الخوف؛ حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات ، أنت تريد التزامًا خمس نجوم، آكل ما أريد وأشرب ما أريد وألبس ما أريد وأنكح ما أريد وأنام كما أريد، وأيضاً تقول لي الجنة شبيك لبيك، لا هذا غير موجود،

هذا ظلم يُنزه الله تعالى عنه، لا بد أن يكون هناك نوع من الممانعة مع شهوات النفس، لازم يكون مقاومة مع ملذات الحياة لازم يكون نوع من ممارسة العداء مع خصمك وعدوك الأول إبليس وجنوده، هل نريد الدنيا ورد الورد، ثم تقول لك الجنة تفضل نحن بانتظارك على أحر من الجمر، كيف ذلك هذا غير منطق أبداً ولاعدل ولاعقل.

قال : ونعيم الجنة لايزول دائمٌ أبداً في النظرة والنعيم _ فهو مستمر دائم، ويصح النضرة _، **والأزواج من الحور العين لايمُتن ولاينقُصن ولايهرمن** _أهل الجنة على سن واحدة كل أهل الجنة ليس فيها عجوز ولاكهل ولاهرم ولامسن ولاأطفال بشريين، الغلمان المخلدون خدم لأهل الجنة خلق من خلق الله وليسوا أولاد المؤمنين ولا أهل النعيم، الذين ماتوا من أطفال المسلمين يبلغ سن ثلاثٌ وثلاثين والذي مات عنده ألف سنة يرجع لسن ثلاث وثلاثين مرة ثانية ، ذروة الشباب، وفي الحديثِ عند الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أهل الجنة على سنٍ واحدة، ثلاث وثلاثين سنة جميعاً، يُقال أن هذا السن الذي رُفع فيه المسيح عيسى عليه السلام إلى الجنة وعنده ثلاث وثلاثون سنة، فنعيم الجنة دائمٌ لايزول أبدًا، ويُنادي منادٍ من قبل الله لأهل الجنة : يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً وأن تشبوا فلاتهرموا أبداً وأن تصحوا فلاتمرضوا أبدًا وأن تحيوا فلاتموتوا أبداً، نعيم متجدد.

قال خارجة بن مصعب رحمه الله: كفرت الجهمية في غير موضعٍ من كتاب الله تعالى، من ذلك قولهم: إن الجنة تفنى عياذاً بالله ، وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ ص: ٥٤، فمن قال ينفد فقد كذب الله عز وجل ، ومن كذب الله عز وجل كفر، فربنا يقول ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ تقول لا سينتهي وسينفد، هذا كفر عياذاً بالله، قال :فمن قال أنها تنفد فقد كفر، وقال الله عز وجل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ الرعد: ٣٥، فمن قال : لايدوم فقد كفر لأنه مكذب لله سبحانه وتعالى _.

ولاينقطع ثمارها ونعيمها كما قال الله عز وجل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ _ هنا الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : لاخلاف أنه أي الجهم بن صفوان، أول من قال بفناء الجنة والنار، الجهم ابن صفوان رأس الضلالة الكبير هذا أول من قال بفناء الجنة والنار فربنا قال ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وربنا سبحانه وتعالى قال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ وقال في الجنة والنار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ البينة: ٨، وقال في أهل النار ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢﴾ الحج: ٢٢، وقال في أهل النار ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ الأعلى: ١٣، وقال ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ النساء: ٥٦.

هنا يأتي جواب شبهة من الجماعة المبتدعة المجرمين : ألم يقل ربنا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ القصص: ٨٨، فكيف تقولون ببقاء الجنة وبقاء النار؟! لابد أن تهلك، وهم يستدلون بالعموم لأن كل هذا نص في العموم، أقصى معاني العموم والشمول شيء، كل شيء لم تترك شيئًا، فمن جملة الأشياء الجنة ومن جملة الأشياء النار، ومافيهما ، فهم الجهمية قالوا : أنهم يقدرون القرآن كثيراً!! هو لاعلاقة لهم بالقرآن ولا بالنبي **صلى الله عليه وسلم** ولابالإسلام أصلاً، فيقولون : ربنا يقول ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وأنتم أهل السنة تقولون إن أهل الجنة لايهلكون وأهل النار لايهلكون هؤلاء خالدين فيها أبداً وهؤلاء خالدين فيها أبداً كيف؟ نقول: أن هذا من باب العام المخصوص كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ليس على بابها، كُلُّ شَيْءٍ خُصصت، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، خصصت بماذا ؟ في آية مثلها بالظبط في القرآن ستحل لك الإشكال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ الرحمن: ٢٦ – ٢٧، فكل شيءٍ عليها، على الأرض، كل شيءٍ عليها على الدنيا، كل شيءٍ كتب الله عليه الهلاك يهلك إلا وجهه، ونحن نعرف أسلوب القرآن كثيرًا جدًا يُردد نفس النسق، لما تفسر الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ تستطيع أن تقول كل هنا مثل كل في الآية الثانية، الإشكالية عندك في فهم لفظة كل (كُلُّ شَيْءٍ) في أشياء وردت في القرآن بنفس البنية اللغوية وكانت النتيجة ليست كل حاجة.

كوصف ملكة بلقيس ملكة سبأ ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ النمل: ٢٣،فإذا أوتيت من كل شيء إذاً ماذا كان يصنع سليمان؟ ألم يكن له ملك، سيدنا سليمان كان له ملك أم لم يكن له ملك؟ إذاً بلقيس أوتيت من كل شيء ، هل كانت تملك ملك سليمان؟! لا هذا معروف بالحس وبالعادة وباستقراء القصة بأدنى نظر يعني أن كل شيء عدا ملك سليمان، من غير ما نقول.

ولما ربنا سبحانه وتعالى وصف الريح التي سلطها الله عز وجل على ثمود ﴿سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ الحاقة: ٧، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ الأحقاف: ٢٥ فهنا ورد عليها استثناء أم لم يرد؟ ورد عليها استثناء، فلما ربنا يقول : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ فهذا مستثنى بهذا الوصف، كُلُّ شَيْءٍ كَتَبَ اللهُ عَلِيهَ الهَلاك فهو هَالِكٌ إلا وجهَ الله وماوالاه وماكتب الله عليه البقاء مما كتب الله عز وجل عليه البقاء : عرش الرب جل وعلا لايهلك ، جنة الله لاتهلك ولايهلك أهلها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ الهمزة: ٦ – ٩، لاتهلك ولايهلك أهلها، هذه مستثناة.

قال : وأما عذاب النار فدائم أبدا بدوام الله وأهلها ــ النار أعاذنا الله وإياكم ــ**فيها خالدون مخلدون من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسكٍ بالسنة،**

ــ السنة يعني الملة والشرعة، ليس السنة بمعنى المستحبات، نؤكد في كتب العقائد مصطلح السنة هنا غير مصطلح السنة في كُتب الأصول وكتب الفقه تختلف تماماً السنة هنا بمعنى الملة والاعتقاد والديانة .

نكتفي بهذا القدر وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً